نظر انتقادي في المطبوعات المصرية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نشرت الجرائد المصريّة اعلاناً وقع لدينا احسن موقع فتلقّيناهُ بالمسرّة والشكر ومفادهُ انّ الاديب محمّد افندي رشدي عزم على ان يصدّر قريباً مجلّة تسمى « مجلّة طبع الكتب العربيّة » قال جنابهُ ان « موضوعها ان تطبع في كل عدد منها اربع ملازم من اربعة كتب مختلفة المواضيع مما هو موجود بالكتبخانة الخديويّة وذلك تسهيلاً لاقتناء الكتب ومطبعتها (كذا) » ونسي صاحب الاعلان ان يعلمنا عن ميعاد صدور اعداد المجلة اتكون اسبوعيّة او شهريّة كما انهُ لم يتفضل بتعريف علامات الاشتراك وقيمة بدلهِ

وهذا الخبر من شانهِ ان يبهج الارواح ويثلج صدور الادباء لعلمهم بما تحتويه خزانة الكتب الخديويّة من الكنوز الدفينة التي يتشرّق الى معرفتها ارباب البحث . ولا ندري لاي سبب يقتصر جناب المتولي لهذا العمل الجليل على مخطوطات الكتبخانة الخديويّة وفي مصر ما خلا تلك الخزانة مكاتب أخرى غنيّة بآثارها الكتبيّة منها مكتبة الازهر التي أضحت اليوم من المكاتب العمومية يمكن ايّاً كان ان يستقي من مناهلها الطيبة . هذا فضلاً عن خزائن أخرى للخاصّة لا نظنُّ ان اصحابها يضنّون على محمّد افندي بنقل مضامينها ونشرها

وعلى كلّ حال نتمنى لجناب الاديب ان يباشر بالعمل قريباً ويقوم بهِ احسن قيام ويداوم على الشروع رغماً عما يصادفهُ في طريقهِ من العوائق . وان سمح لنا حضرتهُ ابدينا هنا بعض ملحوظاتنا في المطبوعات المصريّة مؤمّلين ان يعيرها بالًا لئلا تعثر رجلهُ كمن سبقوه الى نشر المطبوعات العربية فنقول :

كلّ يعلم ما صارت اليهِ الطباعة العربية في عهد اسماعيل باشا وخلفهِ . فانّ مطبعة بولاق الشهيرة نشرت في زمن قليل عشرات من التآليف الجليلة التي راجت سوقها في انحاء الشرق حتى اصبحت اليوم عزيزة الوجود يكثر طلابها ولا يحصلون عليها الّا بالاسعار الفاحشة . ولا بدع فانّ المتولين لطبعها كانوا من شيوخ الازهر وائمة العلوم الذين شابوا بالانكباب على الدروس وكثرة المطالعة كالشيخ شهاب الدين والشيخ حسن العطّار

والشيخ مصطفى سلامة والشيخ عبد الرحمان الزيلعيّ وكان اولياء الامر عرفوا ما لهؤلاء المشاهير من الفضل فوكلوا اليهم تصحيح المطبوعات · فنهضوا بأعبـاء وظيفتهم بدراية ونشاط وكانوا لم يألوا جهدًا في تنقيح الكتب ومراجعة المسوّدات وهو شغل لا يعرف عناءهُ غير الذين باشروهُ · فجازاهم الله خيرًا على ما فعلوا

هذا ولسنا ننكر انّ مطبوعات بولاق عينها لم تبلغ اذ ذاك الى كمالهـا الّا أنها كانت قليلة الاغلاط حسنة الضبط · ومما كان يتمنّاهُ الادباء في ذلك العهد أن يقابل المصححون ما تولوا طبعهُ على نسخ متعددة ويثبتوا رواياتها المختلفة في ذيل المطبوعات بدقّة وتمييز كما يفعل العلماء المحققون

وكذلك كان يرغب أرباب الادب الى اهل الطباعة المصريّة ان يصدّروا كل كتاب بتعريف صاحبهِ وبيان مرتبتهِ من العلم ووصف النسخ الباقية من كتابهِ مع الافادة عن محاسنها ومساوئها · وان يضيفوا الى الطبعـة الجداول والفهارس التي تقرب الى الادباء الانتفاع بها

ومما كان يأخذهُ العلماء على المطبوعات البولاقية ايضاً انّ اصحابها لم يتعنوا ماديات الطبع من جلاء الحروف والتوسيع بين الاسطر وافراز القطع بعضها عن بعض عند تغيير المعنى حيثما تجد في الكتب الخطيّة الفاظاً بالحبر الاحمر دلالةً على ذلك فترتاح العين بالنظر الى تلك الاشارات · وكانوا يزيدون بلاء على بلاء بطبع كتابين الواحد في النصّ والاخر على الهامش رغبةً في ترويج الكتاب بكثرة موادّهِ وهو بئس الاقتصاد بالدراهم مع ما ينجم عن ذلك من فقد الوقت الثمين للتفتيش على المطلوب

تلك مآخذ اخذوها على مطبوعات بولاق القديمـة مع ما اشتهرت بهِ من الضبط والتنقيح كما سبق اليهِ القول · والى ذلك الطرر تُنسب عدّة تآليف مُثلت بالطبع كمجمع الأمثال للميداني وخطط المقريزي ونفح الطيب للمقري والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروزبادي والمصباح للفيومي وتاريخ ابن خلدون وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وشرح مقامات الحريري للشريشي ومفردات ابن البيطار وكليّات ابي البقاء ووفيات الاعيان لابن خلكان واحياء علوم الدين للغزّالي واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير وحياة الحيوان الكبرى للدميريّ وكشف الظنون للحاج خليفة والعقد الفريـد لابن عبد ربهِ شرح ديوان المتنبّي للعكبري وخزانة الادب للحموي وكتب

اخرى مفيدة قرّبت الى الدارسين موارد الآداب ومكّنتهم من اقتباس انوار الاقدمين اثاب الله الافاضل الذين كدّوا اذهانهم واسهروا اجفانهم لاستخراج تلك الدفائن من قبورها واحيائها بعد دثورها

هذا ومنذ نحو ثلاثين سنة دخلت مصر في طور جديد فتحسّنت احوالها الماديّة وانفتحت في وجوه اهلها ابواب المكاسب ورقيت في معارج الفلاح في زراعتها وتجارتها وصناعتها ونمت مع هذا ايضاً حياتها الاديّة فتوفّرت المدارس وكثرت المطابع وتعدّدت المطبوعات وانتشرت في كل الانحاء الجرائد والمجلّات وأُنشئت خزائن الكتب العموميّة فكان العلماء يعنون على هذه النهضة الاديّة آمالاً طيّبة بنشر مآثر القدماء وابرازها على صورة موافقة لترقي الانتقاد في عصرنا فيسير الخلف على آثار السلف بل يزيدون عليهم فضلاً مع توفّر الوسائل الجديدة الكافلة بالنجاح . لكنّنا لسوء الطالع لسنا نرى هذه الآمال قد تحقّقت الّهم الّا في بعض المطبوعات التي اجتهد في إصلاحها وضبطها افرادٌ يُشار اليهم بالبنان لفضلهم . فمن تلك الآثار التي تشرفت بها المطبعة الاميريّة خصوصاً معجم ابن منظور الموسوم بلسان العرب الذي قام بتصحيحه الشيخ محمّد الحسيني مع غيره من الائمّة وراجعوا في تنقيحه عدّة تآليف لغويّة مطبوعة ومخطوطة وضبطوه بالشكل الكافي فقلّت اغلاط الكتاب (١ بالنسبة الى غيره من المطبوعات

وممّا أتقن طبعهُ في المطبعة نفسها اثرٌ لغويٌّ جليل تولّى نشرهُ حديثاً بعض فضلاء المصريين وسراتهم نريد كتاب المخصّص لابن سيده في ١٧ جزءاً و٣٠٠٠ صفحة فلم يدّخروا جهداً في تنظيمه بالتعب والنصب ليكون الكتاب مثالاً في الصحّة والضبط وكان في مقدّمتهم الشيخان الفاضلان محمّد الشنقيطي وعبد الغني محمود

وكذلك أحسن الشيخ محمود مصطفى في ضبط مطبوع آخر نفيس وهو كتاب سيبويه فجارى بطبعه النسخة الباريزيّة وزاد عليها فضلاً بما اضافهُ اليها من شروح ابي سعيد السيرافيّ وشرح شواهدها للأعلم الشنتمريّ . ولو ختمها بالفهارس الموسعة لأتى بذلك عملاً خلّد له الذكر الجميل بين الادباء والنحويين . وممّا يستوجب الثناء من

١) قد نشر صاحب مجلّة الضياء المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي بعض هذه الاغلاط التي لم تسرّه هذا التأليف الّا في نصوص قليلة

المطبوعات اللغوية الحديثة التي نُشرت في المطبعة العثمانية في القاهرة كتاب النهاية في غريب الحديث والاثر لمجد الدين ابي السعادات الشهير بابن الاثير اخي صاحب تاريخ الكامل . ساهر على ضبط اصله الشيخ عبد العزيز الطهطاوي.

فهذه المطبوعات وغيرها قليل حفظت لدار الطباعة المصرية حسن سمعتها لكنك اذا قستها على عدد المطابع المصرية وكثرة مطبوعاتها وجدتها بعيدة من المقصود لا تجدي طالبها نفعاً او تحصر فائدتها في الشيء الزهيد . هذا ولا ننكر انّ الطباعة المصرية قد تحسّنت مادّياتها منذ نحو عشرين سنة فكادت تشبه باشراق حرفها وجودة طبعها مطبوعات الشام الّا انّ هذه المذمة ثانوية بالنسبة الى مذامين تلك التآليف

فمن آفة الطباعة المصرية اشتغال كثيرين من اصحابها بنشر الروايات الخالية والقصص الهزلية التي يدلّونها في الغالب عن اللغات الاجنبية فلا تفيد قرّاءها شيئاً لا من حيث معانيها ولا من حيث عبارتها وانّما هي كسائر الملاعيب التي يتلهى بها الناس ويقتلون الوقت كما يزعمون ولعل هذه الروايات تربي على نصف المطبوعات المصرية

ومنها انّ عدداً كبيراً من التآليف العربية يصنفها اصحابها المصريون ليعارضوا فيها الاوربيين في فنونهم وآدابهم وطرائقهم الكتابية في السياسة والمعارف والصنائع فلا تكاد تروي غلّة ولا تشفي علّة الّا القليل منها التي يُشار اليها بالبنان كترجمة شعر الاياذة لسليمان افندي البستاني

وكذلك الكتب المدرسية التي تُطبع في مصر فانّها حتّى الآن لم تبلغ ما بلغته مطبوعات الشام من الاتقان والايضاح وحسن الاسلوب في ترويض الاذهان الّا البعض منها لسوريين يستوطنون اليوم القطر المصري . وربّما نقل المشتغلون بهذه المطبوعات المدارسية ما نشره اهل الشام رغبةً في الربح دون ان يشيروا الى ما سبقهم اليه هؤلاء مثال ذلك كتبنا المدرسية التي سعينا بجمعها ونشرها قبل عشرين سنة ولا سيّما مجاني الادب ورقاة المجاني ومقالات علم الادب فانّ بعض المصريين استحسنوها وطبعوا منها قطعاً عديدة وصفحات طويلة بل كتباً كاملة كما كنّا انتقيناها من كتب الاقدمين متصرّفين فيها بعض التصرّف وفقاً للشؤون المدرسية . وكان هؤلاء النسّاخ في غنى عمّا فعلوا مع كثرة الوسائل ووفرة التآليف في كتبخانات مصر

أمّا التآليف التي شحذ بها المصريون قرائحهم فخصّوها آخراً بمواضيع جديدة

وأخرجوها مخارج مستظرفة ليخدموا بها الآداب فقامتها ليست بمُسعة لا يصبر منها على صروف الدهر الا ما لا يُعبأ به كبعض مصنفات علي باشا مبارك وعبدالله فكري باشا وبعض الدواوين الشعريّة لخمسة او ستّة من الشعراء المجيدين وتآليف ادبيّة قليلة كتاريخ التمدّن الاسلامي لجرجي افندي زيدان وحضارة الاسلام للمرحوم جميل مدوّر . ومصنّفات اخرى سوف نذكرها ان شاء الله في مقالتنا عن تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر . وكذلك تآليف قليلة في التاريخ والجغرافية كتاريخ السودان لنعوم بك شقير وتاريخ مصر الحديث لجرجي افندي زيدان والجغرافيّة العموميّة لاسماعيل افندي علي

وقد طُبع غير ذلك في مصر من المآثر الادبيّة في هذا الربع الجيل الاخير كنّا وددنا لو امكننا تقريظها بالثناء التامّ لولا عيوب فيها ظاهرة تطمس شيئاً من محاسنها اوّلها كتاب تاج العروس الذي مع جزيل فوائده ووفرة موادّه وقع فيه الخلل لنقص لوازم طبعه كاهمال شكل مفرداته وشواهده وعدم الافراز بين متنه وشروحه وقلّة الفواصل بين مظانّه مع اختلاطها فيضيع المفتش قبل البلوغ الى مطلوبه وقتاً ثميناً كان يمكنهُ توفيرهُ لولا هذا الخلل

ومن المطبوعات التي انجبها طبعها السيّئ كثيرًا من قدرها كتاب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب للشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي وهو من اجدى المطبوعات المصريّة فائدةً بكثرة موادّه ومضامينه الادبيّة واللغويّة ولذلك احب العلّامة اغناطيوس غويدي الاستاذ الايطالي الشهير ان يسرد لاعلامه فهرساً ليسهّل على الطالعين تناول شذوره الذهبيّة وبذلك سدّ شيئاً من خلله

وكذلك صنع الاستاذ النسوي والمستشرق الشهير مولر (الذي دعا نفسهُ بامرئ القيس بن الطحّان) فألحق بفهرس مفيد كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة المطبوع في المطبعة الوهبيّة وبذلك وفّر محاسن هذا السفر الجليل الذي كان حقّهُ ان يُطبع بكل دقّة واحكام

ومما تاسف ايضاً على سوء طبعه المصري وعدم ضبطه بالشكل الوافي كتاب اساس البلاغة لجار الله ابي قاسم الزمخشري وهو من الكتب الفريدة الذي كان انتفع به العلماء منفعة مضاعفة لو أُحكم طبعهُ

ومثله في الفوائد وسوء الطبع كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي المعروف بابي شامة طُبع في مطبعة وادي النيل فضاعت معهُ جلُّ منافعهِ . وكتاب مثل هذا كان ينبغي لمتولي طبعهِ ان يزينهُ ببعض الشكل ويذيّلهُ بالحواشي ويوفر لهُ المحاسن الطبعية . كما فعل الفرنج الذين طبعوا منهُ قسمهُ الاكبر (Hist. des Croisades, *Hist. Orientaux*, IV, 1-525) وقاموه الى الفرنسية واضافوا اليهِ التذييلات والفهارس جازاهم الله خيرًا

وقد استحقَّت ادارة الكتبخانة الخديوية شكر العلماء بطبع عدَّة مؤلفات قديمة غاية في النفع كتاريخ مصر لاحمد بن اياس وجزء من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق وكتاب اسماء البلاد المصرية للامام ابن جيعان وتاريخ النيوم وبلادهِ لابي عثمان النابلسي الصفدي وقسم من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ونشرتها بهمَّة مديري مكتبتها المستشرقين كرل ڤولرس وب . مورتس وكلُّها مذيَّل بالفهارس وطبعت قسماً منها بالمطبعة الاهليَّة وقسماً بالمطبعة الاميريَّة (المشرق ١٠ : ٥١٥) لا ينقصها من الكمال الَّا زيادة في حسن الطبع وتعليق الحواشي على بعض مبهماتها. ومثلها في الافادة تاريخ السخاوي المعنون بالتبر المسبوك الذي وقف على طبعهِ وتصحيحهِ الوجيه الاديب احمد زكي بك ويا ليتهُ وجد منهُ نسخةً ثانية للمقابلة واصلاح ما بقي فيهِ من الاغلاط وحشَّاه ببعض الملحوظات وختمهُ بفهرس

وكل هذه المطبوعات طُبعت بالحرف الناعم الدقيق الذي لا تقرّ لهُ العين ولا يأنس بهِ الخاطر . واحسن منها طبعاً وانضر حرفاً كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة الذي طبعهُ محمَّد افندي محمود الرافعي في مطبعة النيل لولا انهُ خالٍ من الحواشي والفهارس المستوفية . وكذلك مطبوعات مجلَّة الهلال فانها جليَّة مشرقة الحرف وقد مرَّ لنا انتقاد على كتاب جليل طُبع في هذه المطبعة ولم تُستوفَ شروط طبعهِ (اطلب المشرق ٨ : ٧٥٧ و٧٨١) وهو كتاب الفرج بعد الشدَّة للقاضي التنوخي . وكذلك انتقدنا على اثر آخر نظر فيهِ وصحَّحهُ محمَّد افندي صادق عبر فيَّنا ما ينقصهُ من اسباب الكمال (المشرق ١٠ : ١٣)

وقد تألَّفت في مصر شركة لطبع الكتب العربيَّة منذ نحو عشر سنوات فنشرت بعض التآليف القديمة اخصُّها كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة للوزير لسان الدين ابن

الخطيب . أتقن طبعهُ وضبطهُ وكان حقُّهُ ان يُحلَّى بغير ذلك من الحسنات الطبعيّة اعني الملحوظات التاريخيّة والفهارس وتشكيل بعض الاعلام

وممن قام بأكثر هذه المرغوبات اسكندر افندي آصاف مدير المطبعة العموميّة في طبع الاعجاز والايجاز لابن منصور الثعالبي فالتزم تذييلهُ بشروح حسنة والحقهُ بفهرس للاعلام ولو ضبطهُ بعض الشكل لكان أصاب المرمى .

ومن المطابع المصريّة التي تحسَّنت في مصر مطبوعاتها مطبعة السعادة ومطبعة الترقي ومطبعة التمدُّن والمطبعة الحسينيّة ومطبعة التقدُّم وقد وجدنا لكلها بعض المطبوعات التي توازي في نضارتها وجودة ورقها وصورة حروفها احسن المطبوعات الشاميّة لكنها كلّها ايضاً خلوةٌ من تلك التسهيلات التي يرغب فيها الادباء كالمقابلة على نسخ متعدّدة وتزيينها بالمقدّمات والشروح والفهارس والتدقيق في ضبط الاعلام وهلمَّ جرًّا

ومما لا يجوز لنا السكوت عنهُ انَّ كثيرًا من المطبوعات المصريّة قد نُشرت بعد طبعها السابق في حواضر الفرنج فيعيد المصريُّون طبعها دون أن يشيروا الى طبعاتها الاولى وهم في الغالب يتعمَّدون آثارها وينقلون عنها دون التصريح بفضل السابق لينتفعوا من ارباحها ويسلبوا لانفسهم فخر نشرها . وكثيرًا ما تُنشر هذه الطبعات دون شيء ممّا يزينها في الطبعات الاوربيّة من ورق حسن وطبع نظيف وحواشٍ مفيدة وفهارس مقرّبة للتفتيش المطلوب وانما غايتها الوحيدة أن يستغني بها الشرقيُّون عن طلب ما هو انفع لهم فيشتروها لبخس اسعارها وهي بئس التجارة

ولدينا اكثر من خمسين تأليفاً من هذه المطبوعات الحديثة التي استجاز اصحابها نشرها على هذه الطريقة دون أن يتكلّفوا في طبعها ومراجعتها نصباً وكدًّا بل جرَّدوها كما قلنا عن كثير من تحسّناتها اقتصادًا في النفقة وتوفيرًا للكسب فمن ذلك كتاب الكامل لابن المبرِّد الذي كان احسن العلّامة ريت (W. Wright) طبعهُ وضبطهُ على سبع نسخ فكرَّرت طبعهُ المطبعة الخيريّة وادَّعى في آخره ناظر مسوداته « انهُ افرغ في تصحيحهِ وتنقيحهِ الجهد و بذل في تحرير ضبوطهِ ما في وسعهِ مشتمرًا عن ساعد الجد فازهر بحول الله يانع ورده وصفا بحمد الله مورد وردهِ » ولم ينسَ المصحح ألا التصريح بنقلهِ عن الطبعة الاوربيّة التي تفوق الطبعة المصريّة من وجوه متعدّدة

ومثل هذا سيرة صلاح الدين الايوبي للقاضي بهاء الدين بن شدّاد طُبعت بحرفها

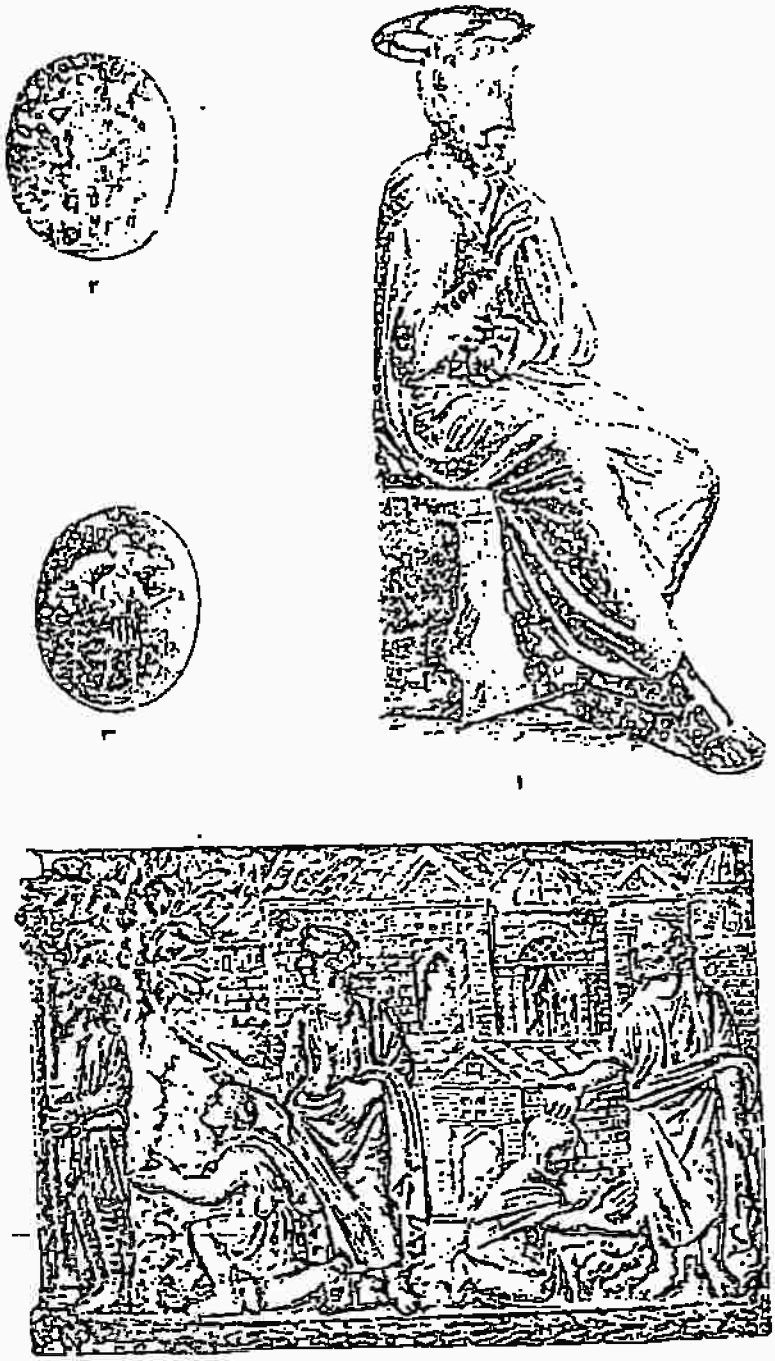

ثاني. ١ تمثال بطرس الرسول من الرخام المتقن من القرن الثالث. ٢ و٣ حجران كريمان حُفر
م الراعي الصالح. ٤ صورة من التاج حُفر فيها رسم السيد المسيح والمرأة التي شفاها من تريف الدم
ة موسى عند ضربه الصخرة (هذه الرسوم منقولة عن كتاب العاديات النصرانية لدون لوكلار)

عن طبعة ليدن (سنة ١٧٣٢) دون الاشارة الى تلك الطبعة . وكانت قد طُبعت ايضاً في باريس طبعةً منقّحة مع شروح وفوائد عديدة (Hist. des Croisades. Hist. Orientaux, III, 1-430) فجاء الطابع المصري منصور عبد المتعال ونشر الكتاب عن طبعتهِ الاولى مع اغلاطهِ ودون الانتفاع بشيءٍ من ملحوظاتهِ اللاتينيّة التي جهل الطابع معانيها لا بل نقل عنها الملحَق المأخوذ عن تاريخ ابي الفداء دون مراجعتهِ على طبعة الاستانة — ومثلهُ ايضاً كتاب تاريخ ابن الطقطقي المعروف بالفخري الذي سبق طبعهُ في المانية وفرنسة فاتخذهُ بعض اهل مصر غنيمة باردة باعادة طبعهِ نقلاً عنهما — وكذا فعل قبلهُ طابع رحلة ابن بطوطة بعد ان نشرها في باريس المستشرقان ديفرامري وسانغويناتي ونقلاها الى الفرنسويّة وحلّياها بالحواشي والفهارس فجرّدها الطابع المصري عن كل هذه الفوائد ليتال بها ربحاً خسيساً

وفي هذه المدّة الاخيرة قد كثرت هذه السرقات لتوفر المطابع فصار كل من يجد كتاباً عربيّاً من المطبوعات الاوربيّة النفيسة تسارع الى طبعهِ كأنّ الكتاب لمجرّد كونهِ قديماً صار ملكاً لمن أمّل منهُ الربح وامل بعض المختلسين يظنّون انّ مطبوعات الشرق لا يعرفها الغربيّون لبعد اصحابها عنهم فلا يقيمون عليهم الحجّة

ومما نُقل في هذا العهد الاخير عن تلك المطبوعات الاوربيّة كتاب المرشّى لابي الطيّب محمّد الوشّاء طبعهُ في ليدن العلّامة برونوف فتلقّفتهُ المطبعة الحسينيّة وطبعهُ احمد ناجي الجمالي ومحمّد امين الخانجي منذ سنتين «الطبعة الاولى» (كذا) مع تغيير اسم الكتاب الذي دُعي كتاب «الظرف والظرفاء» قال المترجَم طبعهُ انهُ انتحل لهُ هذا الاسم الجديد «ليطابق مسمّاه» كأنّ صاحبهُ لم يدرِ تطبيق الاسم على المسمّى(؟) . ولا حاجة للقول انّ الكتاب عُرّي من كل حليهِ الطبعيّة كالشكل والروايات والاصلاحات والفهارس بل زيدت فيهِ بعض التصحيفات التي لا تراها في الطبعة الاصليّة — وكذلك طبع الاديبان المارّ ذكرهما على الطريقة المختصرة ذاتها كتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني الذي طبعهُ في مدينة ليدن الاستاذ الشهير غلدتسير (I. Goldziher) — وقد طمحا الى ما فوق ذلك فطبعا معجم البلدان لياقوت الحموي عن نسخة ليبسيك التي عني بنشرها وستنفلد (F. Wüstenfeld) ولم يفتهما البتّة من الجلد الضخم الاخير الذي ضمّنهُ ذلك المستشرق ملحوظات واصلاحات وفهارس تبلغ ١٣٠٠ صفحة كما

انهما لم يقابلا طبعتهما على الطبعة التي ظهرت في العجم التي مع سقمها لا تخلو من بعض الفوائد والروايات المختلفة

ومما كان سعى بنشره استاذان من كلّية ليدن العلّامة دي غوي (de Goeje) والأسوف عليه فان فلوتن (Van Vloten) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة اجاد في طبعه ما شاء. الموسيو دي غوي ثمّ آثار الجاحظ ورسائله منها كتاب البخلاء وكتاب المحاسن والاضداد ورسائل عزيزة الوجود افنى فان فلوتن حياته في جمعها ونشرها فكل هذه الآثار استولى عليها المجتهد محمّد افندي امين الخانجي وطبعها « الطبعة الاولى » (كذا) . لكنّنا نقرّ مع ذلك بما له من الفضل في طبعه اذ زاد على تلك الرسائل رسالتين لم ينشرهما سابقًا الاستاذ الهولنديّ . فياليتهُ كان راجعهما مثلهُ على نسخ مختلفة واحكم ضبطهما . ويقتضي العدل ايضًا بان نقول ان جريدة «صباح الشرق كانت سبقت المرحوم فان فلوتن فنشرت احدى رسائل الجاحظ في فضائل الاتراك سنة ١٨٩٨ وصحّحتها وزيّنتها بالشكل الكامل . كما أنّنا لحظنا اختلافات في الروايات بين طبعة «صر وطبعة ليدن من كتاب الشعر والشعراء ما يدلُّ على ان صاحب الطبعة المصريّة استعان بنسخة خطيّة مختلفة وعلى كل حال انَّ الفرق بين الطبعتين كفرق الثريا والثرى

ونضيف الى السرقات السابقة كتاب عيون الاخبار الذي تولّى طبعهُ الالماني الهمام كرل بروكلمان فما ظهر لعالم الوجود حتى اسرع المصريون الى طبعه فطبعهُ ايضًا « طبعة اولى » (كذا) على نفقته محمّد افندي ابراهيم ادهم . فلله ما اكثر الطبعات الاولى في مصر . ولعلَّ الكتبيّ مصطفى افندي فهمي نسي ان ينبه في تاريخ الاندلس انهما طبعتهُ الاولى والظاهر انهُ أنف من هذا الكذب لكنّهُ لم يصرّح بانَّ هذا الكتاب قد طبعهُ في ليدن العلّامة دوزي سنة ١٨٤٧ وانَّ طبعتهُ هذه منقولة عنهُ

وكان العلّامة الدكتور ديتريصي (F. Dieterici) مولعًا بآثار الفارابي ورسائله الفلسفيّة فاجتهد في جمعها وطبعها وترجمتها وتذييلها بالحواشي فجاءت طبعتهُ حجّةً لمن يريد درس مآثر ذلك الفيلسوف الامام فتحم بعض المصريين على هذه المطبوعات فنشروها بحرفها الواحد في مطبعة السعادة ومطبعة النيل وكلها على زعمهم « الطبعة الاولى » وربّما زادوا عليها « انَّ حقوق الطبع محفوظة » اي للمختلس

ومن ظريف ما رأينا من هذه المطبوعات المصريّة شرح ديوان ابن الفارض للشيخين البوريني والنابلسيّ الذي اهتمّ بطبعهِ الكونت رشيد الدحداح في مرسيلية سنة ١٨٥٣ واجاد في تصحيحهِ وضبطهِ فرأت المطبعة الخيريّة ان تختصّ هذا الاثر بنفسها وطبعتهُ بعد ان غيّرت مقدّمتهُ ونسبتهُ الى « رشيد بن غالب المجتبى » كأنّ « المجتبى » مرادف للدحداح

ولمّا كان المثل بالمثل يُذكر نروي هنا ما رأيناهُ مؤخّرًا من امر بعض المطبوعات الشاميّة نريد كتاب مناجاة البلغاء في مسامرة البيغاء الذي افرغ الوسع في ترجمتهِ من التركيّة جناب القانوني سليم افندي باز وطبعهُ في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٢ . ففي السنة الجارية اختلس هذا الكتاب سعيد علي الحصرميّ الكتبيّ وطبعهُ بحرفهِ بعد ان غيّر اسم الكتاب فدعاهُ « نوادر الادباء ومنادمة الظرفاء » وابدل صفحتهُ الاولى وصفحتهُ الاخيرة ليوهم القرّاء بان الكتاب من تعريبهِ وهكذا غلب الصقر على الباز

هذا ولم نكتب ما سبق لنضعف عزائم ادباء مصر المجتهدين في نشر الآثار القديمة وتقريب مضامينها من العموم بل مراعاةً لحقوق الذين لهم الاسبقيّة في العمل أنها كفاهم التعب والعناء في خدمة الاداب حتى يُسلّبوا ايضًا ثمرة اتعابهم ولا يبذُوا نفقات طبعها . فانّ في كل البلاد المتمدّنة سننًا مرعيّة لا تسمح بطبع كتاب ألّفهُ او نشرهُ احد الكتبة الّا على شروط معلومة . وفي العام الماضي صدرت ارادة سنيّة للحضرة السلطانيّة العليّة تحظر على اهل الطباعة انتهاك حقوق المؤلفين وتقضي بعقاب من يتجاوز في ذلك طورهُ فيا ليت المصريين يجرون على هذه السنّة

وليس لادباء المصريين حاجة الى هذه الارباح الدنيئة فانّ عندهم مكاتب غنيّة بالمخطوطات النفيسة فترى ماذا يصدُّهم عن الاستقاء من مناهلها . وان رأوا فائدة في تجديد طبعة احد الكتب القديمة فلا بأس من ذلك وانّما يترتّب عليهم أن يراجعوهُ على نسخهِ المخطوطة ويستفرغوا الجهد في تنقيحهِ وان يحسنوا طبعهُ المادّي ويُضيفوا اليهِ ما يزيدهُ رغبةً في اعين الادباء من تعليقات وشرح الالفاظ المبهمة وضبط الاعلام وتدوين الفهارس الواسعة الى غير ذلك ممّا يكسبهم شكر ارباب العلم ويوفّر لهم الارباح الهنيئة . أفلا ترى ان الذين جدّدوا آخرًا طبع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهانيّ اكتفوا بنقلهِ عن طبعتهِ الاولى فلم يصلحوا اغلاطها بل وجدنا فيها اغلاطًا جديدة لا اثر لها في

الطبعة الاولى واضافوا اليه القسم الحادي والعشرين دون أن يشيروا الى فضل صاحبه الدكتور برونوف (R. E. Brünnow) الذي قاسى في طبعه المشقّات فطبعوا هذا الجزء دون اثبات رواياته المنقولة عن اثنتي عشرة نسخة مخطوطة وتبيّن من ذلك انّهم لم يوقفوا اعداد الصفحات بين الطبعة الجديدة والقديمة فخسروا واخسروا فوائد الفهارس الجليلة التي وضعها لهذا الكتاب اثنة من المستشرقين في مطبعة ليدن . فترى من ذلك ما تحرمنا الطبعات المصريّة من الفوائد . فيا ليت هذه الاسطر تبلغ ارباب الطباعة في القطر المصري وتجد عندهم آذان صاغية وقلوباً واعية فيجاروا المستشرقين في طباعتهم المتقنة وتنال منشوراتهم رضى العلماء فيثنوا عليها كما اثنوا على بعض مطبوعاتنا اليسوعيّة

كتاب

الرَّحل والمنزل

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

اقتطفنا هذا الفصل من كتاب سبق لنا في المشرق الاشارة اليه غير مرّة اعني احد مخطوطات مكتبة الملك الظاهر في دمشق الشام وهو مُدوّن في تلك النسخة بكتاب الجرائم ومنسوب لابي محمد عبد الله بن مسلمة الشهير بابن قتيبة . على انّ الذين سردوا جدول مصنّفات ابن قتيبة لم يذكروا لهُ كتاباً بهذا الاسم وليس في مخطوطات خزائن الكتب المعروفة نسخة ثانية ترشدنا الى حقيقة الامر . وما لا ينكرهُ احد انّ الكتاب من آثار قدماء اللغويين ومن عجيب الامور انّ معجم لسان العرب وكتاب المخصّص لابن سيده يكادان يذكران معظم مضامين هذا الكتاب متفرّقة في مظانّها وبجرفها الواحد وهما ينبعانها لابي عُبيد المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٩) والله اعلم . وهذا الفصل الذي نقتناهُ هنا من أجدى ابواب الكتاب نفعاً يتضمّن معظم المفردات التي يستعملها العرب في اسفارهم ومنازلهم تفيدنا كثيراً من عاداتهم واطوارهم الاهليّة . والنسخة الدمشقيّة التي نُقلت منها نسخة مكتبتنا الشرقية قديمة العهد طُمست منها بعض فقراتها فأمكننا بمراجعة كتب اللغة أن نروجها بما تستحقّهُ من الضبط الالفاظ قليلة الجتاهما كما وجدناها دون القطع بصحّتها